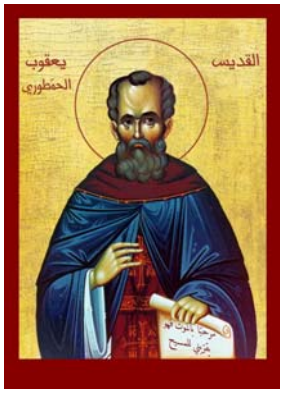

سيرةُ القديس الشهيد في الكهنة

يعقوب الحمَطوري

نسك القديسُ يعقوبُ في ديرِ السيدة في حمطوره في أواخر القرن الثالث عشر. وبرز بنشاطه الروحيّ إذ ثبّت الحياة الرهبانية في منطقة الدير بعد أن دمره المماليك. فأعاد البناء وجدد الحياة الرهبانية ونشطها.

لفت المماليكَ تأثيرُهُ على المؤمنين فقرَّروا تغيير عزمه وثنيه عن نشاطه وتحويله عن إيمانه إلى مسلمٍ، فلم يقبل رغم الشدّة.

اقتادهُ المماليك، مع جمعٍ من الرهبان والعلمانيين، من دير القدّيس جاورجيوس في أعلى الجبل المدعو "حمطوره" حيث كان ينسك، وجرَّروه إلى مدينة طرابلس حيث الوالي. مهدِّدين إياه تارةً ومتملِّقينه طورًا، ضاغطين عليه بتعذيبات شديدة وتهويلاتٍ، مدّةَ سنة تقريباً. فلم يقبلْ ولم ينثنِ.

فقطعوا رأسه أخيراً بتعسفٍ على مقتضى عادتهم في التنكيل بأعدائهم، وذلك في الثالث عشر من تشرين الأول(١٣ ت١). وإمعاناً بالتعسُّف أحرقوا جسَدَه لئلا يُسلموه إلى الكنيسة فيتمَّ تكريمه ودفنه كشهيدٍ وكما يليق بالقديسين المجاهدين.

لكن الله نَوَّجَهُ بأكاليلَ لا تذبل ومتَّعه بالنعيم بعد الهوان في زمنٍ قليل فبرز في استشهاده كما كان بارزاً في حياته بل وأكثر من ذلك، فأعلنته الكنيسة قديساً تكرمه وتستشفع به.

نُسيَ القديس تماماً نتيجة الضعف الروحي وعدم القراءة والمعرفة في زمن العثمانين، وبسبب إقصاء المخطوطات التي تتحدَّثُ عنه بقصدِ إعتمادِ ترجماتٍ جديدة مصدرها غير محلّي.

غير أن زوار الدير وحجاجه كانوا يشعرون بحضوره وقد ظهر لكثيرين وصنع المعجزات والأشفية ممجداً الله وهو مستترٌ. إلى أن وجدنا ذكراً واضحاً له في مخطوط في دير البلمند وهو سنكسار تحت رقم ١٤٩، يوضح أن الكنيسةَ تُعيِّدُ له في الثالث عشر من تشرين الأول.

وقد أحيا الدير تذكاره للمرة الأولى في ٢٠٠٢/١٠/١٣ في سهرانية اشترك فيها عدد كبير من الكهنة والشمامسة والإخوة المؤمنين مرنِّمين خدمة العيد التي نظمها رهبانُ الدير.

يخبرنا كثيرٌ من المؤمنين عن ظهوراتٍ له أو عجائب وأشفية، مما ساعد على تأجيج الحميَّة الروحية لإعادة التعييد لهذا القديس وتقديم الشكر للربِّ، فيما نكرِّمُ هذا القديس الذي لا زال حياً في ديره من خلال عجائبه التي بها يفتقد المؤمنين.